

هذا البحث كان مشاركا في مؤتمر (ظاهرة الطلاق)

بتاريخ ١٨ ربيع الأول لعام ١٤٢٥ هـ

جامعة الشارقة

الطلاق في المجتمع الإسلامي المعاصر بين "جَهْلٍ مُنْفَذِيهِ" و"كَيْدٍ مُرَوِّجِيهِ"

الدكتور إبراهيم يسلم بن محمد العنزاوي

هذا البحث كان مشاركاً في مؤتمر "ظاهرة الطلاق"
بتاريخ ١ ربيع الأول لعام ١٤٢٥ هـ
جامعة الشارقة

الطلاق في المجتمع الإسلامي المعاصر بين جهل "منفذه" وكيد "مروجيه"

الدكتور إبراهيم محمد العنزاوي

سبيل الوقاية والعلاج التوعية الدينية والقيمية للأسرة المسلمة

الطبعة الأولى - ربيع الأول ١٤٢٦ هـ
وزارة الإعلام رقم : ٧٨٧٢٢

طبع على نفقة أهل الخير
يوزع مجاناً

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه
وسلم..... أما بعد:

أ - أهم نقاط البحث:

- المقدمة

- تعريف الطلاق

- القسم الأول: تقييم المطلق المعاصر، الذي يحتاج الشفقة منا
لجهله.

- القسم الآخر : مكر العدو الذي يستهدف الأسرة المسلمة من
خلال الطلاق والحجاب والاختلاط والتعدد، و....

- الخاتمة ، و التوصيات

القسم الأول

ب - صحح الأفكار ، يتصحح السلوك تلقائياً، وغير الأدمغة، يتغير التاريخ:

- ١- جهل المطلق بمنطلق الأسرة في الإسلام.
- ٢- جهل المطلق بالعلاقة الزوجية. هل هي نزوة (عولمية) أو وظيفة ربانية؟!
- ٣- جهل المطلق المتشوف للجمال، ولا يعرف أن جمال المرأة في القرآن الكريم معنوي، ففي الحياة الدنيا يتوقف على المعنويات ، وفي الآخر يتوقف على الحسيات.
- ٤- جهل المطلق بمفهوم (القيمة) للأسرة المسلمة.
- ٥- جهل المطلق بمغانم نعمة الحجاب، ومصائب مجتمع الاختلاط والتسيب.
- ٦- جهل المطلق بالحواجز الوقائية قبل زلزلة الأسرة، والمراحل العلاجية قبل الطلاق.
- ٧- جهل المطلق بالمسافة الزمانية والمساحة المكانية لموضوع الطلاق في القرآن الكريم، لقد استطال هذا الموضوع على مدى ستة وعشرين جزءاً ، وتُوج بسورة اسمها (الطلاق).
- ٨- جهل المرأة أو الرجل بفوائد التعدد، كونه بديلاً عن الطلاق، لأنه يقلل الاحتكاك اليومي.

القسم الثاني

ج - ماذا يريد الغرب منا ؟ (ويبغونها عوجاً)

لابد من كشف حال الأسرة الغربية من الداخل، والتي يريد الغرب تعميمها على الناس جميعاً.

١- نقد وتقويم الأسرة في بلاد (الهرقلة).

٢- كيد الأعداء لهذه الأمة، والمرأة (المسلمة) هدف إستراتيجي، و(العربية) من أولوياتهم.

٣- أهم الخطط والإجراءات العملية التي اتخذت من أجل تفريغ الأسرة المسلمة وملئها بمادة (عولمية).

أ - التسميم الشمولي لكل شؤون الحياة ومنها الأسرة المسلمة وتهيئة الضحية.

ب - تجفيف منابع الدعوية، لأنها مركز الشحن والمقاومة عند المرأة.

ج - تصنيع مناهج تربوية تعزز التخلف وتنمي الشقاق وتقوي التبعية للمرأة.

د - صياغة وسائل إعلام هدفها الثوابت، وثوابت الأسرة، وإشاعة الطلاق وأخباره، وتكراره..

القسم الثالث

المشكلة والحل

١- تتكون التوصيات من اثنتي عشرة توصية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أظهر هذا الدين من أول يوم على كل الأديان و"الأيدلوجيات" وبدأت الأمة الإسلامية الآن ، ترى ، وتسمع ، وتعي ، كيف بدأ الله يسوق الكون كل الكون، نحو " الأسلمة " من خلال الضروريات التي بدأت تلجئ أعداء الإسلام بأخذ حلولها من الإسلام، ليس لأنه إسلام، بل لأنها حلول لآبد من الأخذ بها، للرقي في مجتمعاتهم نحو التحضر والاستقرار.

وبالأمس هناك أمور كثيرة كانوا يأخذونها على الإسلام، واليوم تغير الحال، وبدأت المواقف تتراجع، وترى الصواب في الإسلام، مثل (الطلاق) . في معظم دول العالم لحقوا بالتشريع الإسلامي، والمشرع الفرنسي أخيراً كاد أن يقول (فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان) ¹ .

وصل اللهم على النبي الأمي الذي أعطى البشرية، ما لم يعطها أحد قبله ولا بعده. وأعطى المرأة ما لم يعطها أحد قبله ولا بعده، وأعطته البشرية ما لم تعط أحداً قبله ولا بعده.

ويكفيه فخراً عندما احتضن تسع نسوة دفعة واحدة، متدمات في العمر ماعدا واحدة، يتقرب بهن إلى الله ويحملهن حملاً فوق حمل الدعوة، والجهاد والتشريع .. وآخر كلماته (المرأة والصلاة) .

وكأنني به يريد من هذا العدد، إحياء للأمة من بعده، أكبر المشاكل مشاكل المرأة والحمل الكبير يحتاج إلى عدد كبير يتعاونون عليه، وكأن الزوج المعدد مجند يبني في حصن الأمة، والزوج المطلق مجند ألقى السلاح وخرج بأسوأ الحلول.

وأرض اللهم عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم أجمعين، الذين فهموا عن النبي هذا الفهم، بأن التعدد عبادة من العبادات، وقربة من القربات، وكل عبادة تحتاج إلى صبر ومصابرة، لذلك كانوا يتسابقون بعرض أنفسهم على أرملة الشهيد ، كي تقرّ عينها، ويحتضنونها هي وأولادها، وقد لا يملك أحدهم قوت يومه، ولا يخشون من ذي العرش إقلالاً!! . وسعد هؤلاء بالقرب من المنهج القرآني مع التعدد وضخامة الأسرة، وشقي غيرهم بالبعد عن هذا المنهج مع زوجة واحدة وولد واحد.

وقد أنزل الله القرآن الكريم ليضبط حركة الحياة في المجتمع، وكلما نرى ظاهرة من الظواهر زادت عن الحد، تعطي مؤشراً بأن الآيات التي تحكم هذه الظاهرة لم تطبق، كظاهرة التسول تعطي مؤشراً لغياب الزكاة، وظاهرة

تكس البيوت بالمطلقات تعطي مؤشراً غياب اختيار الزواج على مبدأ قرآني، وهكذا..

وبعد الزحف " العولمي " والهزيمة النفسية تبدلت الموازين، وتغيرت المكايل والمقاييس وصار الزواج عند بعضهم نزوة، ومتعة، فلا بد من الجسد الممشوق مثل اللواتي يراهن على الشاشات الفضية ومثل هذا الجمال ينذر في النساء، لذلك تكدست البيوت بالعوانس والأرامل والمطلقات. حتى المتزوج ، يزهد فيما عنده، ويطلق، وينفرد بواحدة من الطراز الحديث من أجل المتعة !!.

الهدف من البحث :

- ١- تقييم (المطلق) المسلم.
- ٢- تقييم (مكر) العدو الذي يتباكى على المرأة المسلمة من جهة، ويطعنها من جهات أخرى.

أما الهدف الأول:

- تقييم (المطلق) المسلم المظلوم ظلماً شنيعاً من عدوه الذي يسكن في داخله وهو (جهله) ويحتاج منا الشفقة والرحمة والمساعدة والنصرة على عدوه، ولا أدلّ على ذلك من أن كثيراً من المطلقين بعد نفاد الطلقات الثلاثة، يبحث ملهوفاً على فتوى لينة وأوهن من بيت العنكبوت، ويستمر هو وزوجته على هذه الحالة، وشبهة الحرام ظاهرة جليلة، والزوجان لا يفترقان، إذا، لماذا طلقها ؟!
- ظاهرة الطلاق المتسارعة هي ثمرة للثقافة (الطلاقية) التي تصبها أجهزة الإعلام ، كل يوم يرى المسلم ممثلاً طلق زوجته، ووجد خيراً منها، وهي وجدت خيراً منه، وتدور الأمور هكذا، وأخبار طلاق الفنانين والفنانات، تأخذ مساحات واسعة من الإعلام، فجمع هؤلاء نوعين من الطلاق التمثيلي، والعملية، والمخرج يهيئ لكل واحد بديلاً نادر الوجود في المسلسل، وفي الواقع.
- فالأغبياء من المشاهدين يطبقون هذه القاعدة ويطلقون، ولكن يغيب المخرج الذي يجهز العجائب في المسلسل، لأن غالب ما يخرج على الشاشة، لا يتفق مع ما هو في الشارع العربي والإسلامي ، ولا يمثل إلا القلة، وما هو في أصالة المجتمع، ومعظم ما يراه المشاهد المسلم مفروضاً عليه ، ومرفوضاً منه.

ولابد من تحديد المسؤولية على من تقع؟ على المطلق نفسه، أو على العلماء:

١- قد يكون المطلق من حملة الشهادة العليا، وثقافته الإسلامية (أمية) أو قريبة من الأمية، إذا لم يتقف نفسه !!

٢- وهل تقع على أهل العلم الشرعي - وكل المصائب يجب أن تلقى عليهم، وهذا ليس من الإنصاف وإن كان عليهم بعض المسؤولية في عدم ترتيب الأولويات، وتوزيع حصص المعرفة الدينية على الناس تبعاً لأولوياتها، مثلاً: الطهارة آية واحدة في النساء ومثلها في المائدة ولكن المساحة الزمانية في هذا الموضوع طويلة وطويلة جداً، فهذه مسألة صغيرة ضخمناها !!
ومسألة هامة مثل (الطلاق) كالدواء لا يستعمل إلا عند الحاجة، وهذه مسألة كبيرة صغرناها، فالكبير في القرآن لم يأخذ حقه على الواقع، والومضة في القرآن تأخذ ومضة على الواقع.

وأما الهدف الآخر : (مكر) العدو بترويجه ثقافة الشقاق والطلاق وهو يزرع هذه البذرة في وسائل الإعلام ومناهج التربية، ويسقيها، ويقويها، وينميها، بهدوء فتتولد مشكلات من هذا، فيحملها على الإسلام ظلماً وزوراً، وهناك ممارسات منا خاطئة تقدم للعدو مادة إعلامية وحجة يستغلها العدو ويروجها كالطلاق والضرب والهجر والتعدد ومن دهاء العدو، يضع خطة لعدة قرون مستقبلية، وتقوم مؤسسات على تنفيذها، على عدة مراحل منها: للتخدير، ومنها للتشكيك، ومنها لتقديم البدائل.

وأخطر شيء عنده أنه يقتل عدوه بهدوء وبدون أن ينبهه، وما يشعر إلا وقد فات الأوان: كمن يضع ضفدعتين، واحدة في إناء ساخن، فتنتط منه فوراً، وأخرى في إناء فاتر، فهذه تسترخي وعلى المدى الطويل تتفتفت وهي لا تدري.

فمن مبادئ الغربيين طول النفس في مسألة (الإفراغ والإحلال) إفراغ الأسرة المسلمة من ثوابتها وقيمها وخصوصياتها، وإحلال قيم أخرى، تتسرب بهدوء إلى المخزون الثقافي.

وعلى سبيل المثال - لما قلناه - منذ قرن من الزمان معظم المسلمات يعرفن أسماء أمهات المؤمنين وكثيراً من الصحابيات، وبعد التفريغ والإحلال البطيء صار معظم المسلمات لا يعرفن أسماء أمهات المؤمنين، ولكن يعرفن آلاف الفنانات ..

وهدفهم واضح في تدمير الخصوصية للأسرة الإسلامية، حتى تصبح أسرة (هرقلية معولمة) وهدفهم واضح:

١- منع التعدد

٢- ويصبح الطلاق بيد القاضي

٣- خلع الحجاب وفوضى الاختلاط.

٤- تحرير المرأة المسلمة وكلمة " تحرير " توحى بأنها أسيرة، أو مستعمرة والواقع يشهد أنهم يريدون تدميرها، لا تحريرها ، إذا صارت كالمرأة الغربية.

وهناك متحمسون من أبناء وبنات جلدتنا الذين هم بمثابة جسر لعولمة هذه الأمة، وهدم ثوابتها وهم يزيئون للمرأة المسلمة حال المرأة الغربية، ويصورون لنا جنتها، وسعادتها.. ألم ينظروا إلى المراكز الإسلامية في أمريكا وأوروبا يومياً مليئة بمئات النساء والفتيات بعمر الزهور يدخلن في الإسلام.

سبحان الله !!

كيف يترك هذه الجنة المزعومة، ويتحولن إلى الإسلام الذي عقد المرأة بحجابه، وظلمها بالتعدد، وجعل مصيرها بكلمة واحدة عند الرجل.. ؟
(ما لكم كيف تحكمون)^١ ؟!

معنى الطلاق:

المعنى اللغوي:

عند ابن فارس : (الطاء، واللام، والقاف) أصل صحيح، وهو يدل على التخلية والإرسال^٢ هذا في أصل الوضع اللغوي ، ولنرى الطلاق عند أرباب اللغة والمجاز (وطلاق المرأة: بينونتها عن المطلق ، فهي طالق ..)^٣ بمعنى فك الارتباط الزوجي، " وإذا الأحباب كل في طريق ".

المعنى الشرعي:

(رفع قيد النكاح في الحال أو المال، بلفظ مخصوص أو ما يقوم مقامه)^٤ ومما يستوحى من الحروف الثلاثة (طلق) والتي كأنها طلبة حقيقية، وقد أصابت نساء مظلومات وذنبهم لا يستحق هذه الطلقة، لذلك بدأ الفقهاء يوجدون بدائل عن هذه اللفظة المرعبة : (الفسخ، والمتاركة، والخلع، والتفريق ... ويأتي الإيلاء، واللعان ، والظهار..)^٥.

^١ سورة الصافات ، ١٥٤

^٢ معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت ٣٨٥ هـ) تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، إيران ، قم ، ج ٣ / ٤٢٠

^٣ بصائر ذوي التمييز.. تأليف: الفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ) المكتبة العلمية، بيروت تحقيق: محمد علي النجار، ج ٣ / ٥١٤

^٤ الموسوعة الفقهية الكويتية ، ج ٢٩ / ٥ (طلق)

^٥ نفسه ، ٢٩ / ٥

وأكثر المطلقين في زماننا هم ضحايا (الثقافة العولمية) فيفاجأون بنتائج هذا الأمر فتبدأ المرارة والتباكي والشكوى وإيجاد الفتاوى اللينة والحيل الشرعية، وهنا يبرز سؤال: لم تطلق؟ وأين الخل؟ ومن أين نبدأ بالعلاج؟

صحح الأفكار، يتصحح السلوك، وغير الأدمغة، يتغير التاريخ:
فسلوكيات الإنسان تبعاً لمحتوى فكره، وكلما تغير الفكر، تغيرت السلوكيات، وعندما تسلل العدو إلى أفكارنا من خلال وسائل إعلامنا ومناهج مدارسنا التي نحبها ونثق بها، فاستقبلنا كل ما فيها بأنه صحيح، وحفر في الذاكرة، ولو جاء عن طريق وسائل العدو، لتغير الموقف عندنا.
نحن أمة لها خصوصيات متميزة في كل شيء، بدءاً من عقيدة (التوحيد) ومروراً بالاقتصاد والاجتماع، والتجارة أو الزراعة حتى في مسألة الشوارب واللقى، فكيف نكون خير أمة ولا يكون لنا تميز سلوكي.. وغير استعلائي؟ وهذه أهم النقاط - برأيي - لو صححناها في أفكار المطلقين لتغيرت النتائج.

١- جهل (المطلق) بمنطلق الأسرة في الإسلام، لأنه لم يرب عليها، ولم يتعلمها :

نظام الأسرة في الإسلام نظام الفطرة الكونية والذي يشمل الأحياء جميعاً ويتجلى ذلك في قوله تعالى (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)^١

وقد جعل الله جاذبية فطرية لكل نوع من الكائنات، فإذا صار موسم التكاثر تتجمع هذه الكائنات، وبعد أداء الوظيفة التكاثرية تتباعد، إلا الإنسان جعل الله في وظيفته الزوجية التلازم والاستقرار من أجل الرسالة أولاً، ثم السلالة ثانياً. (وجاذبية الفطرة - عند الإنسان - لا لتجمع بين الذكور والإناث، ولكن لتقيم منهجاً أسرياً)^٢ تتلاقى فيه ثلاثة أجيال (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون)^٣ جمع الجد والولد والحفيد (بنين وحفدة) ، فيأخذ الحفيد من جده الرصانة، وعمق التفكير، ومن والده الحركة والنشاط، ومن أترابه تبادل الثقافة وترسيخها.

^١ سورة الذاريات ، ٤٩

^٢ الظلال، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط٩ (١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م) ج ١ / ٢٣٥

^٣ سورة النحل آية ٧٢

ومواليد الكائنات الحية منها ما يعتمد على نفسه بعد الولادة مباشرة، أو لفترة قصيرة، ولا يوجد كالإنسان الذي يحتاج إلى خمسة عشر عاماً من الرعاية والعناية وهذا لا يتحقق إلا بوجود مثلث متساوي الأضلاع، أب وأم وبيت مستقر، فالأسرة المضطربة إنتاجها مضطرب، وينعكس على المجتمع فيما بعد.

ومفهوم الأسرة في الإسلام مفهوم عبادي، اعتزازي، وشرف ما بعده شرف، ووظيفة الأمومة فيه، وظيفة عالية السمو، وخدمة الأم مقدمة على الجهاد، والجنة تحت أقدامها مجازياً، وعلى علو مكانة الجنة وقداستها، جعلت تحت أقدامها، وكان الولد جورباً في قدمها، أينما سارت، هو في خدمتها، ويدفع عنها أدنى الأذى، إنها رمزية التذلل والإستعطاف، وهذه المكافأة العظيمة للأنثى، من رسول الله صلى الله عليه وسلم هي تشجيع على رسالة الأمومة لأن صناعة الإنسان أدق من صناعة الطائرة، والمصنع الذي يجهز به الإنسان أدق من المصنع التي تجهز به أحدث الالكترونيات وهذا مثال على ثمرة الثقافة الإسلامية للأسرة من خلال سلوك هذه المرأة :

محامية دولية كبيرة مسلمة (مفيدة عبد الرحمن) تقابل يومياً رؤساء دول ووفود ومع كل هذا تحافظ على رسالة الأمومة والبيت والزوج فتقول : (كنت أمسح حذاء زوجي قبل أن أخرج من البيت يومياً، برغم وجود الخدم من أجل أن أضع حداً لنفسي خوفاً من الغرور، وبنفس الوقت أثبت لزوجي وولدي بأنني ربة منزل وزوجة قبل أن أكون محامية دولية)¹.

وهذه الرؤية ثمرة ثقافة إسلامية، ولو كل المثقفين والمثقفات، أخذوا هذا القسط الإسلامي، لجاءت النتائج مثلها، أو قريباً منها.

٢- جهل (المطلق) بالعلاقة الزوجية، هل هي نزوة (عولمية) أو وظيفة ربانية ؟!

والعلاقة الزوجية بين كل الكائنات، وسيلة وغاية، فالوسيلة: هي اللذة. والغاية: هي بقاء النوع، ويزيد الإنسان على ما قد سبق نوعاً ثالثاً، هي التربية، من أجل الاستمرار والتواصل الفكري بين الماضي والحاضر والمستقبل، ويزيد الإسلام أمراً رابعاً للعلاقة الزوجية، بأنها عبادة من العبادات، ومبدأ الإسلام واضح: الرسالة قبل السلالة. (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن)².

¹ بتصرف (مجلة الوعي الإسلامي) العدد (٣٠٤) ربيع الآخر، ١٤١٠ هـ ص (٥٩٠)

² سورة البقرة، ٢٢١

فاللقاء الزوجي لقاء إيمان مع إيمان، وأن اختلف الملتقيان بالعقيدة فلا لقاء (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن)^١ وننتقل إلى مرحلة أدق في العلاقة الزوجية، كل عبادة تحتاج إلى طهر، وهذه عبادة لا تكتمل إلا إذا اجتمع الطاهران (فإذا تطهرن فاتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)^٢ قال : (تطهرهن) ولم يقل اغتسلن، أو تنظفن، فالأمر أبعد من المحسوسات، أمر له علاقة بين العابد و المعبود (فإذا تطهرن فاتوهن من حيث أمركم الله)^٣ ومع وجود الجاذبية والفطرة التي أودعها الله في الإنسان، يحرص الله الرجال ويأمرهم أمراً (فاتوهن ..) ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، يجلي هذا المعنى، عندما يتحول اللقاء إلى صدقة وصلة متبادلة، بقوله (وفي بضع أحدكم صدقة)^٤ كل طرف يتصدق بما عنده على صاحبه، من أجل ألا يمتنع أحد عن إعفاف صاحبه، وإن فاعلها مأجور، ومانعها مأزور.

وهناك مثل شعبي قريب من هذا (كل واطلب تعبت أسنانك)^٥ وهنا يقوم ملحظ، حول ورود كلمة " يحب الله " فعل متجدد، يلزمه حب متجدد، وحب التوابين غير حب المتطهرين ، وإلا لكتفى بالأول وعطف الآخر عليه، لأن قضية اعتزال النساء في المحيض، قضية حرجة لذلك يتكرر التجاوز، وتتكرر التوبة ولاسيما في ربيع العمر ولا يملك غيرها، و " التوابين " جمع مذكر، تخص الذكر لأنه هو المسؤول وحده ويتوب وحده، ثم بعد ذلك يشترك معها بالتطهر، وجاء تمام السياق، ويحب " المتطهرين " مخفياً لما تتوقعه النفس " يحب المتطهرات " ولكنه عدل السياق بتغليب الذكور " المتطهرين " للاشتراك بالدنس ! هو قد تدنس بتجاوزه وهي بحيضها.

ما أرحم هذا الإله !! الذي يقبل العبد بكل ميوله " وعواطفه ، وشهواته ، إله يحب الذين يخالفون أمره، إذا اعترفوا له ، ويكررون المخالفة، ويكرر حبه لهم !!

^١ سورة البقرة، ٢٢١

^٢ سورة البقرة ، ٢٢٢

^٣ نفسه سورة البقرة ، ٢٢٢

^٤ مسلم ، كتاب الزكاة.

^٥ قصة هذا المثل في رمضان كان زعماء المماليك بمصر يتبارون بموائد الإفطار الكبرى، فكان بعض الخدم يشحطون الناس شطحا حتى لا يعاقبه سيده، وبعضهم لجأ إلى وسيلة أغرائية، فيقدمون إليه بعض الدراهم ويقولون له (كل واطلب تعبت أسنانك).

ونخلص من هذا بأن الله يربط عباده به حتى في أدق الأمور الزوجية من أجل التشجيع على الحياة الزوجية والصبر عليها، ومادام المخالف المتكرر، يجلب إليه حب الله، فما بالك بالملتزم؟؟ والإسلام يشرع لبشر فيهم القوي والضعيف، والأعلى والأدنى، لذلك يستوعب الجميع.

ويتضح الفارق بيننا وبين أرباب (العولمة) فالعلاقة الزوجية عندهم شهوة جسد تُقضى بدقائق ، و في الإسلام وظيفة لها هدف ورسالة عبادية، تربوية ، دعوية، .. وبمعنى آخر طاقة موجهة، لبناء الدنيا والآخرة !!

٣ - جهل (المطلق) المتشوف للجمال، ولا يعرف أن جمال المرأة في القرآن الكريم، يقوم في الحياة الدنيا على المعنويات ، وفي الآخرة على الحسيات.

الاختيار الزوجي (للذكر والأنثى) في القرآن الكريم يقوم على جمال المعنويات كالصلاح والوفاء، وفي الآخرة يقوم على الحسيات (حور عين) و (كواعب أترابا) والجمال عند أرباب العولمة يقوم على النزوة الجسدية أحادية النظرة، وسطحية التفكير ومثل هذه القاعدة لا تقوم عليها أسرة.

ومن أهداف الأسرة الإسلامية أنها تقوم على ثوابت من أجل الاستقرار والاستمرار، فالدين والصلاح والأخلاق هذه لا تتغير، بل تزدهو ولا تذبل، وتزيد ولا تنقص، وأما الاختيار على أساس الخدود ونضارتها وعلى المال وحلاوته، فهذه أمور معرضة للتغير والتبدل.

والقرآن يركز على جماليات المرأة المعنوية، ومن وجدت بها هذه الخصال الستة تجاوزت كل مقاييس الجمال حينما قال لنساء النبي (خيراً منكن) إذا استبدلن به الدنيا، كما في قوله تعالى (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات) كلها جماليات معنوية و (ثيبات وأبكارا)^١ من الجمال الحسي، وقدم الثيبات لطالب الأجر، بينما آخر البكر لأن عندها ما يُرغب بها.

فالإسلام ضمن بهذه المواصفات المعنوية مستقبل العرجاء، والعوراء، والعمياء، والنطيحة، والمتردية... كل منهن ستتزوج وتأخذ حظها، لأن هذه الصفات العبادية، بالإمكان إيجادها حتى وإن كانت غير موجودة من خلال التوبة، ولكن الخدود الزهرية والطول الخيزراني لا توجد إلا نادراً في عالم الشرق، والعالم الغربي الذي لا يهتم إلا بالحسنة فقط، وبعد أن تذبل، تترك، وترمى ، ولا يهتم بالخيطة والزراعة وأم الأيتام بإعلاناته أو انتخاباته أو في توزيع الأوسمة..

^١ سورة التحريم ، ٥

وهذا دليل على أنها حضارة الهدف الواحد، الهدف الغريزي الجسدي ، فأما الأرملة، والعاملة.. خارج الهدف والاهتمام، وعندما يريد " العولمي " أن يتزوج لا يهمه تاريخ الزوجة، هل هي من نكاح أو سفاح " ولا يهمه أصلها، المهم أنها جميلة، وأول فرصة نفعية له، أولها، وتكون المعطيات أفضل ، كل منهما يتحول إلى فرصته الجديدة، وهذا الذي لا يهتم بأصل الزوجة كثيراً، تجده إذا أراد أن يشتري كلبة يتحقق من فصيلتها؟! والسبب بسيط، للكلبة - عنده - مستقبل اقتصادي، وأما الزوجة ..؟!!

والذي يعزز الجمال المعنوي - عندنا - في الإسلام، العمق التاريخي للزوجة، من حسب ونسب ودين، وشجاعة وكرم وسمعة، ويدعمها الجمال الإنتاجي، فالبيت النظيف يزيد من جمال المرأة، واستقبال الضيوف يزيد من جمالها، والتلطف بأهله يزيد من جمالها، وتربيتها لأولادها، وحسن ضبط المصروفات في البيت.. وهذه جماليات إنتاجية تصب في صالح المرأة المسلمة في بيتها.

والفارق بيننا وبينهم. لهم هدف واحد في المرأة، وعندنا مجموعة اعتبارات قيمة بجلد واحد !

٤- جهل (المطلق) بأبعاد القيمة للأسرة في الإسلام :

مثال واحد في هذا الصدد، ينوب عن مجلدات تنتجها مراكز أبحاث متخصصة : عازب زنى يجلد مائة جلدة، وفي اليوم الثاني يتزوج، ويزني فيرجم، لماذا ؟

وما دامت الآلية واحدة، وبينهما يوم واحد، وما الذي طرأ وحدث، - برأيي - إنه هدم حصن الأسرة وقيمة الأسرة، وكرامة الأسرة، وسيدفع الأولاد، وأخوالهم وأعمامهم عقوبة معنوية، نتيجة نزوة واحد متفلت، ولا سيما البنات، وإن كانت أمهن هي الزانية !!

ومن أجل قيمة الأسرة اكتفى الله من الزوجين إذا شك أحدهما بصاحبه بـ (الملاعنة) والنص القرآني بهذا اللفظ (؟) حافظ على نفسية الأولاد وأخوالهم وأعمامهم بقوله (... يرمون ..) هذا اللفظ عوم القضية، والرامي ما سمي رامياً إلا لأنه بعيد من الهدف، وقد يصيب وقد يخطئ ، ولو قال (.. يضبطون ..) (يشاهدون ..) عندها لا مناص ولا محاص من العار و الشنار، لذلك قال تعالى (والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهود إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين* والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين * ويدروا عنها العذاب أن

تشهد أربع شهادات بالله إنه لم الكاذبين * والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين (*)^١.

ولعل سائل يسأل، لماذا لم يقم عليهما حد الزناة ؟

١- لأن الزوج الذي يتسبب في قتل زوجته فأولاده لا يغفرون له ذلك ولو نفسياً، إذا هو خسر رسالته من خلال خسارته لأولاده.

٢- وقد تنتهي الحياة الزوجية بموت أو طلاق أو ملاءنة، ولكنها لا تنتهي في المأوى الأعلى، فتبقى أمها وجدتها محرمتين عليه، وأبوه وجده محرمين عليها، ويبقى الأولاد نصفهم من الأخوال و من الأعمام لحماء ودماء وشكلاً، فإقامة الحدود لا تتماشى مع الجو العائلي، والقيمة للأسرة.

٣- حتى في العالم الفطري هناك قيم أسرية يحافظ عليها فطرياً، مثال: ديك الحظيرة يطرد ديك الجيران المتطفل، وفي عالم القرود الأمر أبعد من ذلك، قرود زنت فرجمت.. كما جاء في البخاري (عن عمر بن ميمون قال : رأيت في الجاهلية قرود اجتمع عليها قرود، قد زنت، فرجموها، فرجمتها معهم)^٢.

٤- ومن أجل أن تستمر الأسرة، ولو على كره من أحد الزوجين أو من كليهما معاً. وعد الله الصابر على كرهه بالخير الكثير، كأن يرزقه منها ولداً كالنوءي أو كصلاح الدين الأيوبي، وفي الآخرة له أجر عظيم، قوله تعالى (فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) ولم يقل فإن كرهتها بالمفرد ، وذكر المكروهات بالجمع (كرهتموهن) لها بعدان : الأول : مهما كان العدد كبيراً يجب الصبر عليهن، والآخر: تنبأ القرآن بفترة ما قادمة، لا تطاق فيها المرأة لسبب ما ، ويتولد الكره عند الرجال ، وأسهل المسالك إلى ألفية ابن مالك الطلاق، وهذه هزيمة عسكرية أمام الفواحش والمشاكل، لأن في التطليق تتضاعف مشاكل المجتمع.

وأحاديث كثيرة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم تخبرنا عن شدة صبره على نسائه، وتاريخ الأمة مليء بسير الصابرين على أزواجهم. وهذا رجل جاء يسأل سيدنا عمر، بأنه يريد الطلاق، لأنه لا يحبها، فقال له عمر : (.. ألم تبني البيوت إلا على الحب ؟؟ فأية الرعاية والتذمم ...)

وقصة الفتاة الفقيرة المطحونة، التي جاد الزمان عليها ونقلها من الكوخ إلى القصر، ومن الفقر إلى الأمانة والملك، هي : اعتماد الرميكية عندما تزوجها آخر ملوك الطوائف، المعتمد بن عباد الشاعر المشهور، فأرادت يوماً أن

١- سورة النور : ٦ - ٩ .

١ صحيح البخاري، المناقب، رقم الحديث (٣٥٦٠)

تلهو بالطين، كما تفعل النساء من عامة الناس، فمنعها عن ذلك، وجلب لها الحناء بدل التراب، والعطر بدل الماء وقال : أجبلي ، والعبي بالطين الآن، وبدأت رائحة الحناء والطيب تملآن الآفاق وكان يوماً مشهوداً ، ولما غضبت قالت : لم أر منك خيراً قط، قال: ولا يوم الطين قالت ولا يوم الطين^١ .

وأعرف رجلاً حياً يرزق من الجزيرة العربية، ويسكن المدينة المنورة، وينتسب إلى حاتم الطائي، يقول: إن زوجته الأولى عاشت معه أربعاً وعشرين سنة، رحمها الله، ويكرر الترحم عليها، وكانت عصبية المزاج وكانت ترميه بالمداس (الحذاء) أمام الأولاد وحلف أنه لم يلتفت إليها ولم يعاتبها ولو مرة، ولم يحمل عليها في صدره شيئاً، ويقول : هي حرمة، وأنا رجل، وأم عيالي.. وإنها عظمة المروءة أو مروءة العظمة .. وبعد أن تزوج أولاده، يتساءلون معه : من أي طينة أنت ؟

٥- قطع الإسلام الألسن المدللة حتى وإن كانت صادقة، واشترط لها نصاباً من أربعة شهود، وقد لا تتحقق مثل هذه المواصفات إلا إذا كانت الواقعة في الشارع (عياناً بياناً) وجهاً نهاراً، وإذا اختلفت شهادة أحدهم جلدوا جميعاً - وإن كانوا صادقين يركبهم حدُّ القذف - ثمانين جلدة، ونزعت العدالة منهم فلا تقبل لهم شهادة فيما بعد ، لأنهم مجروحون بسبب تجريحهم للعفيفات ، قوله تعالى (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء، فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً ..) النور / ٣ .

هذا لمن أقيم عليه الحد في الدنيا وتاب، ولكن الذي لا يقام عليه الحد، لعدم تطبيق الحدود في تلك الفترة أو أنه مدعوم ونجا من الحد ، واستمر بتجريح العفيفات ..، توعدده الله بعقوبة كعقوبة الشيطان، وهي اللعن والطرده (إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات ، لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم) النور / ٢٣ .

فقدم لفظ الإحصان على الإيمان، وبهذا حفظ عرض المؤمنة وغير المؤمنة، مادامت شريفة عفيفة.

هذه القيمة للأسرة في الإسلام هي خير قيمة لأي أسرة وجدت على وجه الأرض ويفرض الله احترامها على الصغير والكبير، ويربى على ذلك المجتمع، حتى على أفراد العائلة الواحدة، هناك أوقات ممنوع الدخول بها على الأبوين، قوله تعالى (.. ثلاث عورات لكم..) النور / ٥٨

^١ خلف كل طلاق حكاية، وداد الكواري، ط١، الدوحة عام (٢٠٠٢ م) ص : ٨ وباختصار شديد.

وبهذا التحوط الشديد ضمن الإسلام تعقيم الأجواء، لأن الأجواء الفاسدة، تساعد على نشر الفساد، ولو تسامع الأطفال يوماً بمثل هذه القاذورات لهان عليهم الإتيان بها، إذا ما قدروا عليها، ولو من باب التجريب. ولا يتجاوز مفهوم القيمة الأسرية عند معظم المطلقين، سوى " جبر الله كسر ك، وجدد فراشك " .

٥- جهل (المطلق) بمغانم نعمة الحجاب، وخسائر مجتمع الاختلاط، وربما هو أحد ضحاياه :

أصحاب الأقلام المأجورة يعملون على محورين ، الأول : التباكي على المرأة المسلمة المظلومة والمحرومة، ويطلقون شعار " تحرير المرأة " ولا ندري تحريرها ممن ؟ من الأسر ؟ من العبودية ؟ والمحور الآخر : التشهير بأخطاء الملتزمات، ويأخذون موقفاً خطأ على محجبة، ويعمونه على كل المحجبات، ويأخذون جريمة على مسلمة ، ويعمونها على الإسلام وعلى العفاف وعلى الكبت النفسي، ويقولون لو كان هناك اختلاط نظيف، وحرية مطلقة ما وقعت هذه الجريمة، ويتناسى هؤلاء أن يكون العفاف هو القاعدة - القاعدة هنا غير القاعدة الأفغانية - والجريمة نادرة، كما هو في مجتمع الحجاب، وبين أن تكون القاعدة هي الجريمة والفوضى الجنسية، والعفاف هو الاستثناء.

ويدلسون بهذا على كثير من الناس الجهلة في معايير الإسلام، وفي بنية المجتمع الإسلامي، مع أن بعض المسلمين قد حصل على شهادات كبيرة ومناصب كبيرة ، ولو سألت هذا المثقف أركان الوضوء لا يعرفها، لكنه يعرف أسئلة التشكيك مثلاً :

لماذا تتحجب المرأة ولا يتحجب الرجل .. ؟ ولو كانت تفتن من الرجل، بمثل ما يفتن الرجل منها به، لاتجه الواجب ذاته إلى الرجل، كما اتجه إلى المرأة.. " ١ .

ويتجاهل هؤلاء عالم الفطرة، ولو مرت فرس أمام حصان تراه يتحرك يمينا وشمالا ويصهل ويملا الدنيا ضجيجا، ولايتهم الحصان بقلة الأدب، ولكن لو مر الحصان أمام الفرس تبقى شبه ساكنة، فالفحولة التي فطر الله الذكر عليها، لا بد من أخذ الحيطة منها، حتى تبقى النفوس والبيوت ساكنة. لذلك أراد الله أن يضيق دائرة الاختلاط بالنساء التي تقع عليهن عين الرجل، حتى يبقى مستقراً في بيته، ومستمراً في حياته، وعندما تتغير نفسه، ولا

^١ المرأة بين طغيان النظام الدولي، الطائف.. د. : محمد سعيد رمضان البوطي، ط١، ١٩٦٦

يستطيع الزواج من ثانية، يخلق المشاكل مع زوجته لأتفه الأسباب ، ولو بدون أن يصرح بذلك .

قال تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون * وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو أبناءهن أو أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت إيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله الله واسع عليم)^١ .

تقدم الآية حزمة من المعطيات التي نحن ندور في محورها، ومن أهمها:

١- لماذا طوى الله ذكر الأخوال والأعمام في هذه الآية، وهم من المحارم، إحياء لنا بتضييق الدائرة الاختلاطية ، وكلما ضاقت الدائرة قلت نسبة الجمال !؟

٢- حض الله المرأة على الزينة ولو كان الزوج بعلأ (إلا لبعولتهن) وفي هذا كناية أن كلاً من الزوجين اعتمد على خدمة نفسه، ومعروف أن الشجرة البعلية هي التي تعتمد على نفسها ولا تحتاج إلى مزارع، وكأن الرجل عندما يصبح خارج الخدمة الزوجية لكبر أو مرض يقال له بعل، ومما يقوى هذا الاتجاه قوله تعالى (قالت يا ويلتي ألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب)^٢ وفي حالة الجفاء، ولو كانا تحت سقف واحد، فهي يقال لها: امرأة، وغابت مفردة الزوجة، قوله تعالى (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً..) النساء/ ١٢٨ .

وأبعد من ذلك، لما تبين الزوجة بينونة صغرى يتقدم إليها الخطاب ولم يعد بينها وبين زوجها القديم إلا التاريخ، ويسمى بعلأ، قال تعالى (وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحاً ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم)^٣ .

^١ سورة النور ، ٣٠ - ٣١

^٢ سورة هود، ٢٢٨

^٣ سورة البقرة، ٢٢٨

خلاصة الكلام حول زينة المرأة لبعْلِها، المرأة المتزينة كالزهرة الحية تجذب النحل، وتغري متأملِها بالرحيق، والوردة التي سقط تاجها، سقطت مملكتها، فلا مجال لعين تتأمل، ولا لنحلة تتدلل. فالزينة مغنطيس العين، ومميلة القلوب، وملهبة الحنين، ورسول الأشواق والعشاق !! فإن كانت الزينة رحماً مابين المرأة و البعل ، فإنها تحرس وتصون مابين الزوجة و الزوج.

٣- حضور " نون النسوة" ست مرات، و " واو الجماعة " مرتين وجاءت " وتوبوا (للجميع، لماذا يا ترى ؟!.

قال للجميع وغلب الذكور " يغضوا و " يحفظوا ".
وقال للإناث توكيداً على ما قد سبق " يغضن، يحفظن، ولا يبدين، وليضربن، ولا يضربن " وقال للجميع " توبوا " أفعال أمرية فورية صادرة من الله، وتريد تنفيذاً ، ولا مجال لمفت يفتي، أو لمتأول أن يتأول، وكل هذه الأفعال تركز على المرأة، بدءاً من أعلاها غض البصر، وانتهاء بأسفل حركة القدم، ولماذا حركة القدم بالذات ؟ أن الشابة عندما تكون وحدها تمشي مشياً طبيعياً وإذا ما رأت أحداً، ينظر إليها، ربما اهتزت، وربت، واستبطرت في مشيتها، لذلك قيد الله حركة قدمها ، ولما أراد أن يثني على أدب وحياء ابنة شعيب، وجه الأنظار إلى كيفية مشيتها، قوله تعالى .. (وجاءته إحداهما تمشي على استحياء ..) القصص / ٢٥ .. وكذلك شهادة مريم الشامية، شهادة الواثقة بنفسها (قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً)، وعلى الاتحاد النسائي أن يحفر هذه الآيات على خواتم الخطوبة ، وهذه شهادة للمرأة الشامية بأن الحياء في دمها، ولها الحق أن تفخر بهذه الشهادة ، وهذا دليل على أن الحياء متجذر بأرض النبوات. لذلك ليس مستغرباً على الغرب أنه لا يعرف الحياء، لأن من ديارهم ما ظهر نبي ولا رسول، ونعود إلى الحجاب. ولما أخذ الله من الشابة حرية الحجاب في شبابها، حتى لا تفسد على النساء المتقدمات حياتهن سيرده عليها أضعافاً مضاعفة عندما يتقدم بها العمر فيحجب الله النساء من أجل أن تستقر في بيتها..^١ .

٤- ومحور الآية هو الأدب النفسي الرفيع، والتربية الخلقية، والنقلة الجديدة في الحياة " أدب نفسي للاستعلاء مع الرغبة، وفيه إغلاق للنافذة الأولى، وحفظ الفرج هو الثمرة الطبيعية لحفظ البصر .."^٢

^١ المعنى مقتبس من الشيخ متولي الشعراوي - رحمه الله - مصدره الشاشة الفضية

^٢ الظلال ، ٢٥١١ / ٤

٦- جهل " المطلق " بالمراحل الوقائية والعلاجية التي تسبق الطلاق.

ومن النادر جداً أن تحتجب الشمس فجأة، وتبدأ الصواعق، وتأخذ السماء الناس على حين غرة، بل تبدأ بتكاثف الغيوم، واشتداد الريح والبرق والرعد، وقد تكون هناك صواعق، أو لا تكون.

وكثيراً ما يحصل في البيوت العامرة، أن تغيب البسمة الوردية، والضحكة العفوية، والحنان المتجدد وبعد أربعة أو خمسة أولاد، ينزل الطلاق على الرؤوس كالقؤوس " يا سلام سلم ".

وقد جعل الله عدة تحوطات وقائية، قبل أن تصل الأمور إلى ما تصل إليه، كغض البصر، وحفظ الفرج، والحجاب، وعدم الاختلاط إلا للضرورة وبضوابط شرعية، وعدم إبداء الزينة إلا لعدد محدود جداً من أجل استقرار النفوس والبيوت.

ووضع تشريعات تحدد مهمة الرجل، لأنه مدير الأسرة وأعطى القرآن نموذجين للزوجات، فمنهن الصالحات القانتات التي لا تتصادم مع دور الآخرين، ومنهن المرأة النشاز التي تريد موعظة، وهجراً، وضرباً، وأن يتزوج عليها ثانية، وثالثة، ورابعة حتى لا يراها إلا مرة، أو مرتين في الأسبوع، وهذا ما يقلل الاحتكاك معها.

قوله تعالى : (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً^١) ومفردة الرجل بالقرآن لاتأتي إلا في المواطن الصعبة والرجال ندرة بين الناس، ولم يقل : الذكور قوامون

فالإسلام يشرع لبشر يخطئون ويصيبون، يفرحون ويغضبون، يظلمون ويعدلون والغالب على الحياة الأسرية التناسق والتوافق، ولنا أسوة حسنة في تركيب الجسم البشري مع دقة التنظيم والأعداد ومع كل الاحتياطات التناسقية، قد يحصل اضطرابات وفرقعات في الأمعاء، وتنتهي في الغالب على سلم.

ومما يستوحى من هذه الآية ما يفيد " البحث " بعدة ملاحظ. هي:

١- عين مدير الأسرة أولاً، حتى تعلم المرأة مسبقاً أن الإدارة محجوزة لمتخصص، وعندما يغيب المدير، هي النائب الأول. وأثبتت التجارب

المشاهدة والمتكررة عندما تتقدم المرأة ، ويتأخر زوجها الضعيف، تهتز مكانة الأسرة كلها.

٢- صنف من النساء عرفت ربها ودورها " فالصالحات قانتات " وعندها ما يشغلها في دورها، وقد تنجح به، أو لا تنجح، فكيف لو زادت على حملها حملاً آخر هو المشاققة؟! . (أي : شق هو، وشقت هي ، فتشقق الأمر، أو الرأي.. فلا يمكن الوصول إلى نجاح) .

٣- وقسم ميال للمشاققة ويريد أدواراً أكثر مما أسند إليه، وهذا من علامات الفشل عند المرأة في دورها الذي أسند إليها، فتعوضه بالمشاكسة، فهذه التي تحتاج إلى وعظ، وهجر، وضرب، وتعدد.

وهناك قسم مستجد معاصر هو المرأة العاملة التي تغيب عن دورها في البيت وتعوضه اقتصادياً في تحسين الدخل، أو تزوده بالمشاكل الجديدة.

وهناك تطور جديد في الثقافة الزوجية التصادية مع الثوابت والقيم الإسلامية، عندما تخرج المرأة في المسلسلات وتلطم زوجها كفاً، وتنتهي، في أحسن الأحوال ضربه بالكف، وقد تتجاوز الحدود وتضربه.. ب .. ب .. " يا لطيف ألطف " .

ولقد تركت هذه المشاهد الاسترجالية أثراً في عيون المشاهدين ، خلال نصف قرن مضى وأصبح مألوفاً ومطبّقاً ويصطدم هذا التكريس الثقافي التصادمي مع الشارع الإسلامي والمسجد والبيت، ولذلك اضطرب المجتمع. وسأقف عند بعض المعطيات لهذه الآية منها :

١- لِمَ جاءت مفردة " فعظوهن " ؟ وما قال " فعظها " عندها الإسناد يكون للزوج، والزوج ليس من مهمة أن يصنع غير مصنوع، ولكن مهمته ترشيد المصنع الجاهز، والنص هنا طالب المجتمع بالترشيد والتوجيه، وإن كان الزوج واحداً من المجتمع، ولكن هذا يوحي بإيجاد متخصصين في كل عصر، يواكبون المستجدات في تربية البنات على فنّ الحوار، وعلم النفس، والاجتماع، والأدب السلوكي، قبل أن تصل إلى هذا الزوج المحظوظ ..

٢- " واهجروهن " كيف يهجرها، وما عنده غيرها ؟ معناها يعذب نفسه قبل أن يعذبها ، ويبدو لي، أن الهجر هنا : بعدم التدليل الزائد الذي كان في ساعات الصفاء والوفاء.

والهجر دواء وعلاج لاشك في نجاعته مادام الله وصفه، ولكن النتائج تختلف حسب المواقع، فالزوج الذي عنده أكثر من واحدة، تختلف عنده الأمور، لأنه يجمع عليها الحرمان والغيرة، هذا إذا كانت هي ملتزمة وتخاف الله. فالهجر لا ينفع إلا مع صاحبة الدين.

٣- " واضربوهن " هذه الرخصة أسئ استخدامها، وتحول الرجل في بعض الأحيان إلى جلد باسم الإسلام، وتحولت المرأة إلى عبدة باسم الإسلام، فلا بد من إحداث تخصصات جديدة وتوعية اجتماعية، سلوكية، حقوقية، دينية، تعرف الزوج حدوده، بقوله تعالى " فإن أطعنكم.. " توقفت الرخصة. والضرب عملة لها وجهان تربويان إما هي نشاز وتحتاج هذا فعلاً، وإما هو ضعيف فيعوض نقصه بالضرب، كما يفعل المدرس القوي والضعيف، فالأول لا يضرب والطلبة يتعبون جداً من التحضير والمذاكرة، والضعيف هو يتعب والطلبة لا يستفيدون.. وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يضرب زوجة، أو ولداً، أو رجلاً، أو دابة.

ولو أن هناك لجنة خبيرة بتمييز الذكور من الرجال، لضربت اللجنة كثيراً من الذكور الذين يضربون نساءهم لأن أصل المشكلة فيهم، من ضعف شخصيته ورعونته، لذلك ما جاءت كلمة "رجل" في القرآن الكريم إلا في المواطن الصعبة (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار)^١ و (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً)^٢ . وبناء على هذا التعريف :

فما أقل الرجال وما أكثر الذكور !!

والدليل على كثرة الطلاق في زماننا راجع لضعف شخصية الرجل من جهة، ومن جهة أخرى طغيان المرأة، لأن المطلق يرمي بأقوى ما عنده لعلها تستجيب له، ويثبت أنه موجود، وبدون المرور على المراحل الوقائية والعلاجية.

٧- جهل " المطلق " بالمساحة الزمانية والمكانية التي أخذها موضوع الطلاق على امتداد أربعة عشر قرناً من الزمان، وخمس سكان العالم تعاملوا معه، واستطال على ستة وعشرين جزءاً في القرآن الكريم، وأكثر الإسلام من الحواجز أمام المطلقين حتى لا يصلوا الهدف بسرعة : هذه الرؤية الشمولية عزيزة ونادرة عند النخب الذين مارسوا هذا الابتلاء، فكيف بأمية الآخرين الإسلامية ؟ حتى الحواجز التعويقية لا يعرفها إلا القليل، ولا يطبقها إلا النادر..

^١ سورة النور، ٣٧

^٢ سورة الأحزاب، ٢٣

وأول الحواجز : الطلاق الشرعي يكون بعد الحيض وبعد الاغتسال والطهور، فقط، فإذا جامعها انتظر إلى الشهر القادم.. وهكذا.. ففي هذه المساحة الزمانية قد تتغير القلوب والأنفس.

وثاني الحواجز : ما بعد الطلاق، لا تخرج من البيت، والله سمي البيت بيتها وهي مطلقة (يا ايها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً)^١ .

وثالث الحواجز : الطلقة الثانية (الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان)^٢ ولكل مرة ظروفها الخاصة، ولم يقل الطلاق لفظتان، ويكون الترتيب نفسه كما في المرة الأولى.

ولا يجوز له ، ولا لأهلها إخراجها لأن وجودها بجوار زوجها وأولادها فيه عدة فوائد، عدم تشتيت الأولاد، وتحجيم المشكلة داخل الأسرة، وقرب الوساد وطول السهاد يفعل في النفوس، ما لم يفعله قاضي القضاة ولا شيخ المصلحين .

ورابع الحواجز : إن كان الدخول بالزوجة بخاتم من حديد وكلمتين، فالخروج منها دونه خרט القتاد، دونه موضوع موزع على مساحة طولها ست وعشرون جزءاً من القرآن الكريم، بدءاً من سورة البقرة الآية " ٢٢٦ " إلى نهاية سورة الطلاق، نهاية الجزء الثامن والعشرين ولعل من الحكمة في هذا التوزيع، ولم يجمع الطلاق في مكان واحد كما جمعت آية الدين، أو آية الوصية أو آية الطهارة مثلاً.. لعل طول الزمن و المسافة تنسي وتشفي الجراح ، ولعل الرحمة تدخل على قلب المطلق ، فيرجع عما قد عزم عليه.

وخامس الحواجز : سورة الطلاق، التي هي بمثابة سد ذي القرنين (فما استطاعوا أن يظهره وما استطاعوا له نقباً)^٣ وقبل أن يدخل المطلق إلى قاعة المحكمة العليا الربانية " سورة الطلاق " يقف في صالون الانتظار أولاً في سورة " التغابن " من يغبن من ؟ وبماذا يغبنه ؟ ولو ذكر أحد الزوجين مساوئ صاحبه وكان صادقاً، وطوى المحاسن كان هذا غيباً .

وجاءت بعد سورة الطلاق سورة " التحريم " توحى بأن هناك رحماً موصولة في الأرض والسماء " ولا تنسوا الفضل بينكم " هناك أولاد وأحوال

^١ سورة الطلاق ، ١

^٢ سورة البقرة، ٢٢٩

^٣ سورة الكهف، ٩٧

وأعمام وهناك أصول محرمة وفروع محرمة.
فإن كان الطلاق قضاء وقدرأ، فإن السفاهة التي تصاحب الطلاق من بعض
المطلقين، تحتاج إلى ترويض وتأديب وتهذيب، وهذا يحتاج إلى
متخصصين، يحجمون الشر عند السفهاء

٨- جهل " المطلق " بمعرفة الحل الأمثل ويظنه بالتطبيق والحل الأمثل بالتعدد، للمطلق، وللزوجة ، وللبيت.

لأن المشاكل التي تصاحب التعدد، أقل بكثير من المشاكل التي يخلفها
الطلاق وصلت إلى (٦٩) مشكلة حسب الدراسات الحديثة ، وجاء القرآن
الكريم ليحكم حركة الكون فأى خلل في الحياة، معناها أن الآيات التي تحكم
الخلل لم تطبق وعلى سبيل المثال، تكدس البيوت الآن بالأرامل، والعوانس
والمطلقات وبنات في عمر الزهور لم يجدن أزواجاً بسبب " العولمة " التي
تقول للشباب لا تتزوج حتى تؤمن المستقبل، فهذا المبدأ يصلح في " العالم
الغربي " لأن المرعى متاح للجميع ، وهذا مخالف للفطرة، وهل سمعنا أن
أرنبا تأخر في زواجه حتى يؤمن مستقبله، وعندنا المسألة تختلف لأن "
الهراقلة " متفننون في مخالفة الفطرة.

وعندنا القرآن تعهد للفقير بإرزاقه ولكن بعد الزواج، ولماذا بعد الزواج ؟
" وإن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله " النور ٣٢

من أجل أن يمتحن الفتاة وأهلها، هل يزوجونه لصلاحه فقط؟

ولما كان مبدأ التعدد القرآني يطبق على مدى أربعة عشر قرناً، والزواج
المبكر قائم لم تكن حال البيوت كما هي اليوم مكدسة بالبنات المنتظرات
والساخطات.. وأكثر مشاكل البيوت من العوانس مع نساء الأخوة ، و...
راجع لهذا الأمر..

والتعدد أمر فطري فهذه أشجار النخيل الذكرية قليلة، والواحدة تلقح
العشرات، وهذا الديكة قليلة، وتلقح عشرات الإناث، حتى لو جننا بكمية من
البيض، وبعد التفقيس نجد عدد الذكور محدوداً.

وهذا حاصل في البشرية عدد الذكور أقل، وتأتي الحروب وظروف العمل،
تزيد في إنقاص الذكور وتأتي " العولمة " تزيد الطين بلة بتأخر الزواج.

فأمام البشرية خياران :

١- خيار " عولمي " ظاهره: نظيف شريف حرية وسياحة، وباطنه :

زهري، وإيدز، وإجهاض، ومواليد غير شرعيين، وتهدم صحي وأسري،
ومستشفيات نفسية تزيد ولا تنقص.

٢- خيار آخر إسلامي ظاهري، خيار ترضى كل امرأة بشريكة لها في رجل واحد.

وأكثر الذين يعددون في زماننا ينشدون الجمال واللذة عندما يطرأ عليهم طارئ الغنى والسعة، فأمامه أمران فإما أن يرتع في الليل، ويهدأ في النهار، وإما أن يمشي جهاراً نهاراً نظيفاً هو وأسرته ومجتمعه.

والعولمة لا ترضى منا إلا دور " إدوارد الثامن عندما زنى يسكتوا عليه، ولما تزوج أقاموا الدنيا عليه كما سيأتي، فيما بعد.

والآية قدمت رخصة، وليست أمراً ولكنه أمر مستحب (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا)^١ الآية.

والسؤال فأين الواحدة؟ ولم طوي اسمها؟ فانكحوا ما طاب لكم واحدة وثانية

لأن الواحدة هي عنده، وما عندها مشكلة لأنها متزوجة، ولكن عليه أن يتزوج ثانية وثالثة ورابعة تجاوزهن المجتمع لعدم توفر الجمال، أو لعاهة أو.. وهن مسلمات قانتات فهل من الأخوة الإسلامية مسلم أمامك جائع يراقبك، وأنت تأكل أطيب الطعام، فكيف تهناً؟؟ وهي لو كانت محظوظة، ما انتظرت المعدد.

وأكثر مشاكل البيوت الداخلية التي فيها عوانس.. من هذا القبيل ولكنها لا تفصح عن ذلك، وحل المشكلة عند المرأة المتزوجة، لو أن كل امرأة نفسها، تنازلت عن أنانيتها، وسمحت لزوجها ولأولادها بالتعدد، لما بقيت في بيتها أنثى.

إذا أكبر عدو للمرأة، هي المرأة نفسها لا الرجل

القسم الثاني

- ماذا يريد الغرب منا؟ (ويبغونها عوجاً)^١

ونبدأ بالهدف الآخر: وهو (مكر) العدو بترويجه ثقافة الشقاق والطلاق وهو يجند لذلك خيله ورجله ويوزعهم في وسائل الإعلام ومناهج التربية، وهناك ممارسات خاطئة منا، تقدم للعدو مادة إعلامية وحجة يستغلها ويروجها كالطلاق التعسفي، والضرب المبرح، والهجر غير المبرر، والتعدد الذي لا يعرف العدالة. وهؤلاء الذين يسيؤون استخدام الرخص إن الله سيسألهم عن هذا الخلل.

والعدو يركز على نقاط معينة في الأسرة المسلمة، ولا يذكرها مباشرة ولكن تحت شعار تحرير المرأة.

١- كمنع التعدد

٢- خلع الحجاب وفوضى الاختلاط

والواقع يشهد أنهم يريدون تدمير المرأة، لا تحريرها، إذا صارت كالمرأة الغربية.

وهناك متحمسون من أبناء وبنات جلدتنا الذين هم بمثابة جسر لعولمة هذه الأمة، وهدم ثوابتها وهم يزيئون للمرأة المسلمة حال المرأة الغربية، ويصورون لنا جنتها، وسعادتها.. ألم ينظروا إلى المراكز الإسلامية في أمريكا وأوروبا يومياً مليئة بمئات النساء والفتيات بعمر الزهور يدخلن في الإسلام.

سبحان الله .

كيف يتركّن هذه الجنة المزعومة، ويتحولن إلى الإسلام الذي عقد المرأة بحجابه، وظلمها بالتعدد، وجعل مصيرها بكلمة واحدة عند الرجل.. ؟ (ما لكم كيف تحكمون)^٢ ؟

ونحن - المسلمين - بنعمة كبيرة وبعضنا لا يعرفها حق المعرفة هي نعمة البيوت الآمنة مطمئنة، هي ومن فيها.

وإذا كان الإنسان بنعمة ولا يعرفها حتى تذهب منه، فيكون من الغافلين لذلك من دعاء الصالحين: اللهم عرفنا نعمك بدوامها لا بزوالها، وهذه بعض النماذج من بيوت " الأمركة " و " الهرقلة " و " العولمة " وما يتمناه بعض الجهلة من أبناء جلدتنا أن نكون مثلهم قال تعالى: " إن أوهن البيوت لبيت

^١ سورة الأعراف، ٤٥

^٢ سورة الصافات، ١٥٤

العنكبوت " فالوهن في شبكة الصيد أو في العلاقة الأسرية ؟ والعالم الغربي همه مخالفة الفطرة ولاسيما في العلاقات الأسرية.

ولابد من عرض بعض النقاط الموجودة في بيوتات العدو، وبضدها تتبين الأشياء ، ليستبين طريق المجرمين، وكذلك أظهر صور الحقد الدفين علينا لأننا لم نذب في أحماض العولمة، ولأننا نملك المشروع الأممي الذي بدأ العالم يتقدم إليه بنفسه، لا لأنه إسلام، بل لأنه يحل مشاكلهم، ومن هذه النقاط:

١- جهل " المطلقين " بالصورة الصحيحة للبيت في العالم الغربي (وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون)^١ .

البيت المشار إليه في الآية يريد الشبكة العنكبوتية، و الحياة الأسرية فبعض الإناث تلتهم زوجها بعد التلقيح " اللهم حوالينا ولا علينا " وبعض الصغار يلتهم بعضهم بعضاً، أو يلتهمون الأم نفسها، والدائم وجه الله^٢ ..

وهذه العائلة الشاذة لا يوجد مثلها في العالم الفطري، وكذلك عائلة " العم سام " لا يوجد مثلها في وجه الأرض، ولا أريد أن أعزز قلبي بذكر الاعتداء على المحارم من القاصرات وأما البالغات فحدث ولا حرج.

وهذا ملك إنكلترا - إدوارد الثامن - كانت له عشيقة، ولكن لها زوج، ولها شقة في قصر الملك، وكل أهل القصر يعرفون ذلك بما فيها الكنيسة، ولما تزوجها زواجاً مكشوفاً، قامت الدنيا ولم تقعد^٣ . ولعل سائل يسأل لماذا ؟ الجواب " ويغونها عوجاً " .

وعندهم بعض طالبات المدارس الثانوية والجامعية هن أمهات المستقبل ومع ذلك هن المرتع العفن، فنسبة الحبالى في إحدى المدارس الثانوية الأمريكية ٤٨ % وفي ألمانيا دون الخامسة والعشرين ٣٥ % وكانت نسبة الطلاق في أمريكا ٦ % عام ١٨٩٠ وبعد قرن ١٩٨٦ م وصلت ٤٨ % فأين الأسرة السعيدة، والزواج المثالي الذي هو ثمرة الاختلاط، وأين الراحة النفسية التي يزينون أخبارها زوراً للمرأة المسلمة؟؟؟

والإعلام التعيس يمطرنا بهذه الشعارات الكاذبة المزورة، وهذه بعض حالة الأسرة الشبابية، فما هي حالة الأسرة في خريف العمر؟ عندهم الأمهات

^١ سورة العنكبوت ، ٤١

^٢ هذا المعنى مقتبس من مجلة الإعجاز العلمي، العدد " ١٧ " ذو الحجة ١٤٢٤ هـ / د /

صلاح رشيد

^٣ هذا المعنى مقتبس من كتاب الطلاق، خاشع حقي، ص ١٠٦

والآباء في دور العجزة لا يراهم أحد، ولا يرونه، وهم ينتظرون الموت (مت قاعداً).

بينما الإنسان العجوز عندنا ملك في مملكته - إذا رباهم على الإسلام - الكل يسمع، ويطيع، ويقبل الأيدي ويطلب الدعاء، وهو قاضي القضاة في مجال الصلح العائلي، لا يرد حكمه.

ولغة الأرقام هي اللغة العلمية التي يؤمن بها العدو والصديق، وبالمقارنة بين الطلاق عندنا وعندهم، تظهر الفوارق، فأرقام "العولمة" مرعبة وأرقام مجتمع العفاف الطبيعية، تظهر لك نسبة استقرار البيوت.

ففي سورية المحروسة نسبة الطلاق ٩,٦ % عام ١٩٥٠ ونقصت بعد خمسة عشر عاماً إلى ٩,٢ % في عام ١٩٦٥ وحتى على مستوى سورية يختلف الطلاق من بلد إلى آخر تبعاً لنسبة الالتزام.

ففي عام ١٩٦٥ م كانت نسبة الطلاق في دمشق ١٧,٨ % وفي حلب ١٣ % وفي حماه ٦,٩ %^١ وهذه النتيجة تقول: الدين هو خير ما يحمي به البلاد والعباد والمجتمعات من التصدع والاهتزاز الداخلي، الدين هو الذي يضبط مجتمع العفاف، وهناك كثير من البلاد في التاريخ كان عدوها التعفن الداخلي، فسقطت أمام أول ضربة خارجية.

وأخيراً نقول لأرباب "العولمة".

هل كثرة الطلاق بسبب الإسلام أم بالبعد عن الإسلام؟

ونقول للذين عابوا على الإسلام الطلاق، لماذا أخذوا به؟

ففي عام ١٩٢٧ م في "فيينا" عاصمة النمسا قام مدير جامعة النمسا خطيباً في مؤتمر رجال القانون والقضاء من أجل النظر في مسألة الطلاق، واثنى على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: إن البشرية تفتخر بانتساب رجل إليها كمحمد فعلى الرغم من أميته استطاع أن يأتي بقانون سنكون نحن الأوروبيين في أسعد ما نكون عندما نصل إلى قمة هذا القانون بعد ألفي سنة^٢.

وفي عام ١٩٥٤ م أباح البرلمان الهندي الطلاق عند بعض الطوائف التي لا تجيزه.

وفي عام ١٩٧٠ م نجح البرلمان الإيطالي بتشريع الطلاق على رغم أنف الفاتيكان، لأن الفاتيكان يمنع ذلك.

وفي عام ١٩٧٨ م أقرت الحكومة الأسبانية الطلاق

^١ الطلاق، خاشع حقي، ص ١١٧ - ١٢٠، وما بعده..

^٢ نفسه ص ١١٧

وفي فرنسا " كتبت الصحف " آخر صيحة في التشريع الأوربي " وكان
المشرع الفرنسي قد اقترب من مفهوم قوله تعالى (فإمساك بمعروف أو
تسريح بإحسان)^١ .

وخلاصة المشاكل في بيوتنا هي في البيوت الذين يأخذون بمبدأ التقاليد
المنحرفة الوافدة علينا، وهي التي تولد الطلاق والشقاق، وفي البيوت
المحافظة قليلة جداً.

٢- جهل " المطلق " : " كيد " الأعداء لهذه الأمة من خلال المرأة المسلمة :

من عظمة القرآن وإعجازه في إخباره عن المغيبات التي وقعت، والتي ستقع
في المستقبل ومنها استمرارية الصراع مع العدو في كل صغيرة وكبيرة،
كما في قوله تعالى (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن
استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم
في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)^٢ .

ويقول أحد علماء الغرب في هذا المضمار، هو " ليوبولدفايس " وسمى نفسه
بعد أن أسلم " محمد أسد " ويذكر أن مهمهم تغيير هوية الأسرة المسلمة،
وتجريدها من كل خصائصها حتى تكون كالأسرة الغربية، كترك الحجاب،
وعدم التعدد، والطلاق بيد القاضي^٣ .

ويصبح الرجل المسلم كالأوربي مسلوب الشخصية والكرامة، كالسبع الذي
قلعت أنيابه، وقضمت أظفاره، عندها صار كالتيس، والتيس خير منه لأنه
ينطح، وهذه قصة مختصرة بتصرف شديد " رجل من المشرق جاء إلى
ألمانيا وتعرف على جارتته، فتحولت إلى شقته وتركت زوجها وهو
ينظر إليها، ولا يستطيع أن يفعل شيئاً، وزادت الطين بلة، أنها أنجبت طفلاً
من العشيق الجديد المشرقي، وسجلته في سجلات زوجها المقلوعة أنيابه
وأظفاره، وزوجها القديم بدوره تعرف على واحدة من الجيران وتحولت إلى
شقته، وهكذا.. دواليك.. " ^٤

واتخذ أعداؤنا عدة إجراءات ظاهرة وباطنة، عاجلة وطويلة، ظاهرها من
أجل تحرير المرأة، وباطنها من أجل إفسادها، تحت إشراف علماء نفس

^١ سورة البقرة، ٢٢٩

^٢ سورة البقرة، ٢١٧

^٣ بتصرف " الطلاق " خاشع حقي، ص ١٢٠

^٤ نفسه.. ص ١٢٤

واجتماع وساسة وسنذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر. ولا بد من تحديد، من أين يبدأون؟ وكيف ينطلقون؟ وبماذا يمتازون؟

أ - الرؤية الشمولية :

يمتاز العقل الغربي بالرؤية الشمولية لكل موضوع قبل أن يدخل به، فالعدو يفكر كيف يفسد الهواء، ويسمم المياه؟ لكن من بعيد، ويحرق المزروعات من بعيد؟ ويبقى شريفاً نظيفاً، ورائداً للإنسانية؟

١- تفريغ المرأة المسلمة من محتواها الإسلامي.

٢- حشوها " بالهرقلة "

٣- ركز على الحجاب ، والتعدد، و الطلاق

٤- اشترى عدداً من الكتاب، وهم بمثابة المقاولين الذين يكتبون حسب

الطلب للمسرحيين، والقصصيين، والسينمائيين، و .. وموضوعاتهم هي هي، وأسماءهم هي هي ، كمحطات الوقود أسماءها مختلفة ومحتواها واحد.

ب - تجفيف المنابع الدعوية:

وهي أنجح طريقة للعدو في القرن العشرين عندما حول الأوقاف إلى وزارات، وسلب الأمة حرية التصرف والحركة، بأكبر كتلة مالية عمرها عمر الإسلام، هذا من جهة، ومن جهة أخرى توقف الناس عن الإيقاف الجديد، وفي هذا سلب الأمة قدرتها في تطوير الأئمة والدعاة، وفي الصرف عليهم مباشرة، وصار العاملون في الأوقاف ينطبق عليهم قول الشاعر:

كالعيس في البيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهرها محمول

والأوقاف الإسلامية من المشرق إلى المغرب من أغنى الناس، والعاملون بها تختلف أحوالهم حسب المواقع ، ومن نتائج تجفيف المنابع :

صار الأكفاء يبعدون عن العلم الشرعي والعمل الدعوي، فضعفت الدعوة ومن نتائجها ضعفت المقاومة النفسية والعقدية أمام تيارات " الهرقلة " في جميع شؤون الحياة، وبدأت عدوى التقليد للغرب تنتشر بسرعة، ثم تطورت إلى حد المفاخرة بالأعياد، والأعراس والزينة.. وتطور الأمر مرحلة أخرى إلى حد صار إلزام الناس بالتغريب.

وفي الخطط القادمة يريدون تعميم الاختلاط في المساجد يوم الجمعة، والخطيب يمكن أن يكون امرأة.. لا يعلم الغيب إلا الله كيف سيكون هذا الخطيب؟! وقد حدث فعلاً ، المؤذن امرأة ، والخطيب والامام امرأة في امريكا

¹ لمزيد من الإطلاع انظر كتاب حصوننا مهددة من الداخل لمحمد محمد حسين "

ج - صنعوا المناهج المدرسية بأنها تعزز التخلف وتنمي الاختلاف والشقاق: وفي المستوى العلمي تعلم القراءة والكتابة فقط، وتعزز التخلف والشقاق والتصادم بين الثوابت، وهذا يختلف من مكان إلى آخر، فتجد صور البنات مع الصبيان في لعب ولهو وخلوة، تملأ الكتب من الابتدائي إلى الثانوي، وفي لباس ليس له نظير في الشارع إلا نادراً، فكيف تعمم هذه الصورة التصادمية، ويلغى رأي الأكثرية من المجتمع، ويلغى التاريخ، و... د - وسائل الإعلام في بعض الأحيان وبعض الدول هي في حالة حرب مع الثوابت:

تكاد تكون موضوعات المسلسلات ، والقصص، والمسرحيات، والأفلام واحدة تدور حول الآتي:

١- فتاة جامعية تعرفت على شاب في الجامعة، فخطبها من أهلها، ورفضوه للتقاليد، فأخذته رغم عنهم.

٢- زوجة ذكية متحررة متزوجة من متعصب، أي مسلم، فخرجت من الباب، وتركته مفتوحاً إلى يوم القيامة، وهياً لها المخرج عريساً نادراً ذا مال وجمال.

ولا أعتقد عريساً بهذه المواصفات يرضى بمثل هذه المطلقة، والبيوت مليئة ببنات مثل الزهر، ولكنه الكذب والتزوير والزلزلة.

فالإعلام في الهند - مثلاً - لا يصطدم مع ثوابت الهند ويترك الناس يقدسون البقر، أو البشر، أو الرب، ولكنه يعمل فيم خصص له ، ينمي الزراعة والصناعة، والتجارة.. وبعض السينما العربية والمسلسلات لم تخدم التنمية إلا قليلاً وإنما خدمت الزلزلة في الثوابت..

واكتفي بشهادة منظمة عالمية حيادية في بعض الأحيان، طالما الموضوع لا يمس الكبار، منظمة "اليونسكو" في تقرير عام ١٩٧٦ م ولها ورقة مستقلة رقم (٥٩) بأن الإعلام الإسلامي يجانب الصواب من حيث توصيفه للمرأة المسلمة، عندما يأخذ بعض الصور النادرة ويعممها على كل المسلمات، وينسى الكادحات في المزارع والخياطات في البيوت ومربيات الأيتام، والمدرسات و ..

ولقد أخذوا عدة مسلسلات وأجروا عليها دراسة وجاءت النتائج كالتالي من خلال الدراما التي تعرض المرأة المسلمة^١.

١- الأعمال التي تقوم بها غير مهمة

٢- عاجزة عن اتخاذ القرار الهام

^١ باختصار " مجلة الوعي الإسلامي " العدد " ٢٨١ " جمادى الأول، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

- ٣- متواكلة وتريد زوجاً قوياً يأخذ القرارات
 - ٤- امرأة مستهلكة غير منتجة.
 - ٥- تنحرف بسرعة أمام المال والحب والخلافات الأسرية
 - ٦- غادرة ومجرمة تتفق هي وعشيقها على قتل زوجها، أو تزوجه بنتها، ليبقى قريباً منها
 - ٧- وتظهر المطلقة همها الوحيد اقتناص زوج جديد.
- وهذه حصيلة أدوار المرأة المسلمة بالمسلسلات التي أجريت عليها الدراسة.
- ٤٨ % عضو عصابة . ٣٦ % نشالة . ١٢ % شحاذة .. % .. %
- ٨- التركيز على فتاة الثانوي، والجامعية وهن أمهات المستقبل وبهذا العرض الظالم كأن الجامعات في العالم العربي والإسلامي مركزاً للانحراف وهكذا.. هدفهم واضح يريدون تدمير الثوابت الدينية والخلقية والاجتماعية.

القسم الثالث

التوصيات:

البناء والهدم متناقضان، ولا يحتاجان إلى عبقرية لمعرفة الفك والتركيب، فالبناء يبدأ من الأساس ثم يصعد نحو الأعلى، والهدم أو النقض يبدأ من الأعلى ثم ينزل، والعدو برع في تفكيكنا، ودورنا الآن إعادة كل لبنة إلى مكانها، وعندنا تجربة عمرها أربعة عشر قرناً، ولا حاجة لنا لأن نسأل من أين نبدأ ؟ أو لنبذل جهداً في إقناع الناس بفكرنا، ولكن تنقصنا إرادة التغيير، وتبدأ انطلاقة التصحيح من أدمغتنا التي حشيت مادة مغشوشة وملعونة. صحح ما في الأدمغة يتصحح السلوك بنفسه، ويتغير التاريخ تلقائياً، وهذا منهج النبوة :

١- ومن أولويات العمل في صيانة الأسرة ربط الناس بالمنهج " القرآن الكريم " ببرامج مقروءة ومسموعة.

٢- تخصيص مبدأ " الاعتزاز " في المسلم، حتى يرى ما عنده خير بكثير مما عند الآخرين ليترك التقليد والجري وراء " العولمة " وعلى سبيل المثال: بقيت الجيوش الصليبية قرناً من الزمان بعباداتها وتقاليدها ونسائها وأطفالها وأفراحها وأحزانها ويعيشون مختلطين بين الشعوب الإسلامية، في بيع وشراء ومع ذلك لم يتأثر الرجل بهم ولا المرأة بنسائهم، ولم تتعر عريهم وتتفسخ تفسخهم ، لأن المسلم آنذاك كان في داخله الاعتزاز " أنا مسلم " وهؤلاء " كفرة فجرة "

وفي عالمنا اليوم البيوت التي فيها اعتزاز إسلامي هادئة وهانئة والبيوت " المتفرجة " فيها الويل والثبور، وهي أكثر البيوت طلاقاً وشقاقاً.

٣- وسائل التربية والإعلام والمساجد تتعاون ولا تتصادم على إيقاف الهزيمة النفسية أمام زحف " العولمة " لأن الهزيمة النفسية من أشد الهزائم خطراً، قد يحتل العدو أرضك، فتخرجه عاجلاً أو أجلاً، وإذا احتل نفسك لا يخرج إلا بإعادة صياغة نفسية إسلامية. وإذا تضاربت هذه الثلاثة، تكون النتائج مرة علقمية.

٤- بعد إصلاح الأنفس من الداخل، يبدأ إصلاح القوانين التي تحكم الأسرة في العصر الحاضر، فهي لا تتفق مع كثير من المستجدات، وأولها حقوق المساوات بين الرجل والمرأة، ضمن الضوابط الشرعية، وإلغاء الحدود والقوميات والجنسيات في الزواج، لأن كثيراً من الأخوة الأعاجم يتمنى أن يتزوج عربية لأنها من بنات الصحابة، وهذه ميزة فيها فرج كبير، يجب أن نحسن استثمارها من أجل بناتنا، أفضل من أن تبقى البيوت مكدسة بهذه الصورة المربعة، ولا يسمح للمرأة بالزواج من أجنبي بينما القوانين تسمح للرجل أن يتزوج من " بلاد الواق الواق ".

٥- تشريعات خاصة وشديدة لمن يسيء استعمال الرخصة في التعدد، و الضرب، والهجر، ولا أنسى يوم قال لي أحدهم : مضى على هجره لزوجته خمس سنين دفعة واحدة ، وقلت له : عندك غيرها قال : لا . أين تعمل ؟ قال " كذا.. وكذا " هو في وسط الشبهه. وحتى الآن أتخيل مصيبة هذه المسكينة ؟ وكما توجد تشريعات لمن يستغل الرخص الحكومية استغلالاً سيئاً، فلا بد من تشريعات تعيد هيبة الشريعة إلى البيوت المسلمة.

٦- إعادة صياغة وغربلة للمسلسلات ومناهج التربية من ثقافة " التمرد والتصادم " على الثوابت وبالأخص ثوابت الأسرة المسلمة، والعقيدة..

٧- إنشاء قناة فضائية، وتسمى " الأسرة المسلمة " والذين يعملون بها كلهم مختصون، حتى تؤتى أكلها، وتتبع التجارب الحية العملية للأسر الناجحة في العالم مسلمة وغير مسلمة، والحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيث وجدها، في مجال الاقتصاد، وفي التربية، وفي الإدارة، وتنقل لنا صور جميع مستجدات الحياة ، وما يتفق مع ثوابتنا أخذناه، وما يخالف، طورناه، أو تركناه.

٨- إنشاء جامعة تسمى " الأسرة المسلمة " فيها تخصصات مستحدثة.. نريد قاضياً متخصصاً بالخطوبة، وآخر متخصصاً بالشقاق، وثالثاً متخصصاً بالطلاق وقاضياً بالتحكيم وهكذا..

والكل مؤهل بدءاً من علوم القرآن الكريم ، ومروراً بعلم النفس والاجتماع والتربية والاقتصاد..

وقد أوجد الناس تخصصات لأمر بسيط لا تريد تخصصاً، مع ذلك قدموا للناس خدمات جمة، مثل تخصصات الولادة، علماً بأن الولادة فطرية، وهذه ملايين الأرناب تلد يومياً " ثم السبيل يسره " ولو وجدت تخصصات أسرية ستكون النتائج عالية للأسرة المسلمة.

٩- إحياء مبدأ الزواج " الشعبي " عندما قال لسيدنا موسى عليهما السلام (قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين)^١ ولا حرج على الأهل أن يخطبوا لبناتهم وفي السنة عند عقد النكاح يبدأ الأب بقوله للعريس زوجتك وأنكحتك.. معناها أن الأهل عليهم أن يسعوا ضمن الظروف المتاحة، كأن يقولوا لوسيط لهم : قل لصاحبك نحن نزوجهم، ونساعده.

١٠- وكل ما وقع تحت يدي حول هذا الموضوع " الطلاق " من أبحاث كانت شبه منفصلة عن الجو العام، والخاص، والكل يؤثر في الكل. فلا بد من تقييم " الأمة " وتصحيح " الأسرة " وعلاج " الطلاق " ضمن هذه الأطر الثلاثة.

* ملاحظة :

ومن الأوراق المتميزة التي قدمت لمؤتمر الطلاق في جامعة الشارقة في ١ - ٢ ربيع الأول ١٤٢٥ هـ ، الأوراق الميدانية التطبيقية من ماليزيا، ومن دبي، هذا في حدود ما أعلم، وأهم النقاط العملية عندهم، إبعاد المحامين والقضاة عن هذه المسألة، حتى إذا ينسوا من إصلاح الزوجين دفعا إليهما، وبعد مروهما - أي الزوجين - على لجان عدة فيها : علماء نفس، واجتماع، وتربية، ..

*وماليزيا تعمل دورة تدريبية لمدة شهر مدفوعة الأجر لكل العرسان من ذكور وإناث، والأنثى تتعلم فن التعامل مع الزوج في الرضا والغضب، واليسر والعسر، المهم ألا تصطدم معه، وهو يتعلم كيفية التعامل معها في الحيض والنفاس وفن الطبخ والغسل حتى في خدمة المواليد. ومن ثمار هذا العمل انخفضت نسبة الطلاق إلى النصف تقريبا، والتطوير العلاجي في الأساليب مستمر.

*ونأمل من القضاء الشرعي في العالم الإسلامي نقل كل هذه التجارب الناجحة وإلزام كل الناس بمثل هذه الخطوات والدورات التي تحمي الأسرة من الطلاق.

عنوان المؤلف

ibrahem_anzawi@maktoob.com

مركز كمبيولايف للطباعة

حلب- الجميلية

هاتف: ٠٠٩٦٣٢١٢٢٨٩١٥٣

فاكس: ٠٠٩٦٣٢١٢٢٨٩١٥٣٩

e-mail: am1948@scs-net.org